جنّية السايطي

الى مطاع صفدي

الحيرية غبطة سرمدية

وليم بليك

*

في خيم الفجر المشرعة للريح ، والمبحرة مع الرياح تعرى الذات فتشف عن حيوية الفطرة والبراءة الاولى . والحيوية اعياد مرح تنبع من الذات الفياضة وتنسكب فيها . والبراءة حال الانسان الاول في ظل شجرة الحياة قبل ان تغريه حلاوة المعرفة ومرارتها في شجرة الخير والشر فيطرده سيف النار من الجنة .

لذلك كانت ذات الفجرية خير رمز للحيوية المندفعة ، ولشجرة الحياة : « تفاحة الوعر الخصيب » ، ولقدرة الانسان في حال البراءة على الاندماج بعناصر الحيوية في الطبيعة : « وعول الجبل وخيول البحر » .

ويسبغ الشاعر على الفجرية اوصافا رحبة معممة ترمز الى الارض في تجدد حيويتها وفي بكارتها الدائمة .

وفي المدينة يعصى على الفجرية فهم الشريعة وشجرة المعرفة : « اتعب غير رطوبة الحمى وتعقدها ثمر ؟ » وتلتقي الكاهن الموسوي حارس تلك الشجرة فيمتحنها بالنار وبشريعة لا تسري عليها .

والكاهن رمز الذات والحضارة معا في حال الاحتقان الذي يحول الحيوية الى كبريت ونار مجرمة . لقد رمى الفجرية بالاثم والشر والمنفى الى حيث اصيبت بالجنون ، فظنت ان حكم الكاهن صدق وعدل وانها بالفعل جنية وروح شريرة . وكان في جنونها براءة موجعة .

١ - خيم الفجر

هل كنتُ غير صبية سمراءَ
في خيم الفجرْ ،
خيم بلا أرضٍ وأوتاد وأمتعة تعيقْ ،
ألريح تحملها فتبحرُ
خلف أعياد الفصولِ
تحطُّ من عيد لعيد في ألطرقْ ،
والريحُ تمسح ما تخلّفهُ
العشية من أثَرْ
للهرج وألنيران في خيم الفجرْ

٢ - وعول الجبل وخيول البحر

هل كان في جسدي
سوى طبع الرمال الغضةِ
العطشى ، رمال
تشتفُّ عنف الموج يمخرها
ويجتاح الشواطيءَ وألمضيقْ .
ماذا أيتبعني الصدى عبر الجبالْ ؟
وهناك عند شواطيءِ
الثلج العريقْ
كانت ظلال الحور تحرقني
تشفُّ ضلوعه الخضراءْ
عن جمرٍ تخمّر في القرارْ
وأرى رؤى محرورة طول النهار :
أشياء في برك ألدمِ
الفوّارِ يحجبها بخارْ
ينزاحُ عن وعل يحر عروقَ
عينيه أحمرارْ
ويلحُّ في دفع الوعولْ
ماذا أتعبرني الوعولْ ؟
جسدي يئنُّ ، يضيق ، يلهث ، يستحيلْ
علَفاً ، تلالاً غضة ، غوراً ، حقولْ ،
النعنع البريُّ يمرج في مطاوي
السفحِ
والريحانُ أدغالاً بأوديتي يهيجْ
تلهو وتمرح فيه قطعان الوعولْ
وتروح تمخره ، خيولُ البحرِ تزحمها خيولْ
ترغي وتكتسح الخليجْ
ويظل للجسد الطريّ صفاءَ مرآةٍ
وعنقودٍ يجوهر في دَعَهْ
عبرتْ وما عبرتْ عليه الزوبعهْ

٣ - في المدينة

هل كنتُ في ليل المدينةِ
غير أعيادِ البيادرِ في الحصادْ
تفاحةَ الوعر الخصيبِ ، وهبتُ
من جسدي ، دمي
خمراً وزادْ
وعجبتُ من جسد تلوّيهِ

وتعصره سياجاتُ عشَرْ
أيعبُ غير رطوبة الحمّى
ويعقدها ثمر ؟

٤ ـ الكاهن الموسوي والدينونة

يرغي عليَّ الاسودُ الداجي
المقنع بالرماد
وأرى خلال الرغوة الصفراء
كبريتاً تجمّر في مغارَهْ
ويفوح محمرُّ الحديد
ودخنة اللحم الطريّ من العبارَهْ :
« جسدُ اللعينة لن يطهره العهاد »
(وَزَّعْتُ من جسدي دمي)
(خمراً وزاد)
أيشقُّ عن كبدي لينهشه الغرابْ
كادت تمزقني الكلابْ
لليوم أرجف ، أغمضُ العينين . .
أصرخ . . لا أُطيقْ
وتصيح في نهديَّ آثارُ الحروقْ
وعلى الطريقْ
جسدٌ يموت ويستفيقْ

٥ ـ دمغة الجن والخطيئة

دمغتْ جبيني لعنةٌ حمراءُ
كانتْ من سنينَ وما تزالْ
يحكون : « لي جسد عجيبْ
ترتد عنه النار ، ترتدُّ
الخناجر والنبالْ »
يحكون :
« أطبخ في الكهوف لحومَ اطفالٍ
ولي عينٌ أصيد بها الرجال »
وأموت حين أحسُّ رعب العابرينْ
وصدى لعين :
« باسم الصليب لعل يطردها الصليب »
(تفاحة عجرية)
(وصبية الوعر الخصيب)
ما زلت أجهل ما الذنوب وكيف
تغتسل الذنوب
وأخاف من « باسم الصليب »
انسلُّ للكهف المعلّقِ
فوق أمواج المضيقْ :
رمل ، نفايات ، كلاب ،
مرفأٌ خَرِبٌ عتيقْ .

٦ عجوز مجنونة

كانت بروق الليل تلعبُ
في زوايا الكهف تفرشه شرَرْ
حمّى وبردٌ ، عتمة ، لهب ، خدَرْ
أحببتُ حين صحوتُ تلك
الدمغةَ الحمراءَ تلمع في الجبينْ
طربي لرعب العابرين ،
في الليل أطبخ لحم أطفالٍ ، يقينْ
في الليل حين يفتّح المرجانْ
في ضوء القمرْ
ينحلُّ لون جدائلي البيضا
ووجهي تمّحي عنه الحُفَرْ
عيد التجلّي حين أخلعُ
شجرة الحرق العتيقة
صدفةَ الجسد العتيق
وأروح أهزج في الطريقْ
تفاحةَ الوعر الخصيب ، صبيةً
سمراءَ من خيم العجرْ
قلبُ الصباحِ يشعُّ من نهديَّ ،
عنقودُ الدرَرْ ،
ومع السحرْ
ألهو ، يطيب لي التنكرُ ،
أتقي اللعنات ، أسخر بالبشرْ
هيهات يعرفَ من أنا ، عبثاً ، محالْ ،
شمطاءُ تنبش في المزابل
عن قشور البرتقالْ .

خليل حاوي